يهود الهند وهجرتهم الى فلسطين

عبدالمالك خلف التميمي
قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

مقدمة

لا تزال هناك قضايا عديدة في تاريخنا لم يتناولها الباحثون حتى الآن، وستبقى كذلك فترة ليست قصيرة لما يزخر به هذا التاريخ على مختلف العصور بالأحداث والتجارب الهامة، وإن بحثها علميا سيساعد على صياغة الحاضر والمستقبل والتأثير فيهما.

وقد يستغرب الكثيرون عندما يعلمون أن موضوعاً مثل «يهود الهند وهجرتهم إلى فلسطين» لم يبحث من قبل، ويدلنا ذلك على أن موضوعات هامة في تاريخنا لا تزال أحداثها وظروفها وملابساتها غير معروفة مما يستدعي تطويرا حقيقيا في البحث العلمي في جامعاتنا ومراكز الأبحاث في أقطارنا العربية.

وتشمل هذه الدراسة الموضوعات التالية:

«يهود الهند» وجودهم في تلك البلاد، فئاتهم التي تشكل تلك الجماعة، والأصول التي جاءوا منها، والدور الذي لعبته تلك الفئات في تاريخ الهند، ثم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتشكل مدخلا لطبيعة هجرة يهود الهند. والنقطة الثالثة التي تعالجها الدراسة «هجرة يهود الهند إلى فلسطين» ودوافع تلك الهجرة، ودور كل من الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني في دعم وتشجيع هجرة يهود الهند إلى فلسطين. لقد اعتمدت الدراسة

على وثائق بريطانية هامة، وعلى دراسات نادرة عن يهود الهند وتكوينهم الاجتماعي. وتجدر الاشارة في البداية إلى قلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع.

وهذه الدراسة محاولة في البحث عن الهجرة اليهودية من منطقة ترتبط مع العرب في أقطارهم بعلاقات اقتصادية وسياسية عريقة هي شبه القارة الهندية، وكانت تشترك مع الأقطار العربية في الوقوع تحت سيطرة الاستعمار الغربي، كما أن الشعب الهندي عانى تخلفا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا شأنه في ذلك شأن شعبنا العربي، وهذا يعني أن هناك هموما مشتركة بين العرب والهنود، وتاريخا حافلا بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية عبر العصور (Ahmed, 1969: 66-93).

يهود الهند ـ التكوين الاجتماعي والاقتصادي:

في الهند جماعة يهودية عاشت ـ ولا تزال ـ لعدة قرون، وهي جماعة صغيرة قياسا على الجماعات الأخرى التي يتكون منها الشعب الهندي. لقد استقرت على الشاطىء الغربي للهند منذ القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، ويعتقد بعض الباحثين أنها جاءت إلى تلك المنطقة منذ أن تهدمت أورشليم (القدس) على يد الرومان في التاريخ القديم.

وقد بدأت علاقة اليهود بالهند لأول مرة في القرن الثاني الميلادي عندما طردوا من أثيوبيا والامبراطورية الفارسية[1] فسكن بعضهم شبه القارة الهندية، ولكن لم يبق أحد من أولئك اليهود ويعتقد أنهم انقرضوا (Benjamin, 1984: 1-6).

بعد حملة الرومان على اليهود في فلسطين في العصور القديمة وتدمير أورشليم هاجروا إلى مناطق عديدة شرقا وغربا وانتشروا في الأرض، ومن المناطق التي وصلوا إليها الجزيرة العربية وبخاصة الحجاز واليمن، كما وصلوا إلى تدمر في بادية الشام. وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي. وتشير الوثائق التاريخية إلى أنه قبل القرن العاشر الميلادي كانت أكبر الكتل المتهودة في أوروبا هي قبائل الخزر. وهي من الأتراك المغول وطنهم في بلاد الخزر الواقعة جنوب روسيا بجوار مصب نهر الفولجا في بحر قزوين، وقد اعتنقوا الدين اليهودي في العصور الوسطى.

ويعتقد أن اليهودية دخلت هذه المنطقة في نهاية القرن الثامن الميلادي ولكنها لم تدم في الخزر إذ قضى عليها الروس في حملة أنهت مملكتهم فانتشر اليهود في مناطق أوروبا الشرقية (سوسة، ١٩٧٢: ٣٣٤ ـ ٣٣٧).

والسؤال المطروح عند البحث في أصل يهود الهند هو: هل جاء يهود الهند أصلا من بلاد الخزر بعد الحملة الروسية عليهم كما جاء بعضهم مهاجرا من جنوب الجزيرة العربية؟ ليس لدينا ما يثبت ذلك الآن، ولكن الأمر محتمل، فالمعلومات المتوفرة هي أن يهود الهند أصلا هاجروا إليها من الصين وفارس والعراق والشام كما سيتضح من الدراسة.

وتذكر بعض المصادر أن أهم قبيلة يهودية في الهند هي قبيلة شينلونج Shinlung وكان تعـدادها مليونين، وقد هاجرت هذه القبيلة من الصين الى الهند وبورما قبل مائتي عام، واعتنق كثـيرون من أفرادها الديانة المسيحية على أيدي المبشرين، ولكنهم مع ذلك ظلوا يؤكدون أصولهم اليهودية، ويشيرون في أغانيهم القبلية إلى أنفسهم باعتبارهم اسرائيليين، وتلمح تقاليدهم القديمة إلى أنها تقاليد توراتية، ويريد بعض أفراد هذه القبيلة الانضمام الى الحركة الصهيونية المعاصرة، وتقدم بعضهم فعلا بطلبات دخول «اسرائيل» (The Economist, 1985: 28 Sept).

ولكن البحث في تاريخ الجماعات اليهودية في الهند لا يقف عند حدود هذه الفترة الزمنية السـابق ذكـرهـا وهي أنها تواجدت قبل قرنين من الزمان في تلك البلاد فحسب. فهذا التحديد ينطبق على قبيلة شينلونج التي لا تمثل كل اليهود، كما أن جماعات يهودية في الهند لها تاريخ عريق ويمتد وجودها هناك إلى قرون عديدة قبل ذلك التاريخ.

الجماعة اليهودية الأولى:

تعرف هذه الجماعة باسم كوشين Cochin ، التي أقامت على ساحل ملبار، وهي تمثل الجماعة اليهودية القديمة في شبه القارة الهندية، عاشت في جنوب الهند، وهاجرت اليها منذ تحطيم أورشليم على يد الرومان في التاريخ القديم. وقد انقسموا الى اليهود البيض الذي ينحدرون من العبرانيين الأصليين، واليهود السود وهم من الهنود المحليين الذين تحولوا عن ديانتهم الأصلية الى اليهودية، ويعتقد بعض الباحثين أن اليهود البيض في الهند يتكلمون الأسبـانية جيدا، وأنهم جاءوا مبـاشرة من فلسـطين، وقـد صنفوا ضمن اليهود الأسبان السفرديم (Huton, 1963: 14-15).

ان مسألة تحدث هذه الجماعة الأسبانية تثير بعض الأسئلة حول المصدر الذي قدموا منه، وتاريخ وصولهم الى الهند، فهل كان هؤلاء من يهود أسبانيا الذين خرجوا منها بعد انهيار دولة العرب في الأندلس في نهاية العصور الوسطى، وقطنوا فلسطين لبعض الوقت ثم رحلوا عنها؟ أم كانوا من الدول التي استعمرتها أسبانيا في عصر الكشوف الجغرافية؟ أم أنها جماعة

حديثة اختلطت بالجماعة اليهودية القديمة في الهند وغلبت هويتها عليها؟ هذه الاسئلة لا نستطيع الاجابة عنها الآن إذ ليست لدينا المعلومات التي توضحها، ولكن لابد من اثارتها.

ثم هناك سؤال لابد من طرحه عن التقسيم العنصري للكوشين الى يهود بيض وسود، فهل يعني ذلك أن بعضهم معترف به يهوديا من قبل «إسرائيل» أو الجماعات الدينية فيها، بينما البعض الآخر غير معترف به من بعض اليهود كما حدث بالنسبة ليهود الفلاشا الذين نقلوا من أثيوبيا الى إسرائيل؟ والجماعات اليهودية في الهند تدعي أنها تمثل اليهود دون غيرها. من المعروف أن جماعة الكوشين في الهند قد تحصنت في مدينة كوشن جنوبا[٢] في القرن الخامس عشر الميلادي بعد مهاجمتهم من قبل المسلمين الذين عرفوا لبعض الوقت باسم المورو Moors الذين جاءوا إلى مالابار من جنوب الجزيرة العربية، واستقروا هناك، وبعد ذلك هوجموا من قبل البرتغاليين.

هذه الجماعة صغيرة في حجمها ولا يزيد عدد أفرادها على ٢٥٠٠ شخص ، أشار الى ذلك أحد الرحالة الهولنديين الذي زار شبه القارة الهندية في عام ١٦٨٧ عندما كان الهولنديون يحتلون منطقة صغيرة في مدينة كوش في الهند، والأرقام المتوفرة لعام ١٩٥١ تذكر أن عددهم في الهند آنذاك كان ١٧٠ شخصا فقط، وانخفاض عددهم جاء بسبب الهجرة إلى فلسطين المحتلة. وفي عام ١٩٧١ أصبح العدد ١١٢ شخصا، ويبلغ عددهم هذه الأيام ما بين ٥٠ و ٧٠ شخصا، وهم من كبار السن، الذين آثروا البقاء لأسباب اقتصادية حتى بعد هجرة أجيالهم الجديدة (Benjamin,1984: 7).

الجماعة اليهودية الثانية:

وتعرف هذه الجماعة «ببني اسرائيل» (أبناء إسرائيل في العهد القديم)، ويعتقد أنهم هاجروا الى الهند في القرنين الخامس والسادس الميلادي، من الجزيرة العربية، هؤلاء اليهود يعتبرون أنفسهم ضمن القبائل اليهودية العشر التي تاهت في الأرض (Huton, 1963: 19) وقد استقرت جماعتهم على الساحل الغربي للهند جنوب بومبي، وكان أول احصاء لهذه الجماعة سنة ١٩٥١، حيث بلغ عددهم حوالي ٢٠ر٠٠٠ (عشرين الفا). ولكن هذا العدد انخفض في عام ١٩٦١ الى ١٦ر٠٠٠ (ستة عشر الفا) ويبلغ عددهم الآن حوالي ٥٠٠ر٥ (خمسة آلاف وخمسمائة) هذا الانخفاض وقع خلال عشرين عاما وجاء بصورة أساسية بسبب

الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة وهجرة عدد محدود منهم الى بريطانيا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

ويبلغ عدد يهود الهند من بني اسرائيل في فلسطين المحتلة الآن حوالي ٢٥,٠٠٠ (خمسة وعشرين الفا) يحاولون الاحتفاظ بشخصيتهم المميزة، ويتعبدون في معبد بني اسرائيل طبقا لما كانوا يتبعونه في الهند، وهم في «اسرائيل» يتكلمون اللغة التي كانوا يتكلمون بها في الهند، وهي الماراثية، ويستمعون الى الموسيقى والأفلام الهندية كلما أتيحت لهم الفرصة، ولكن إلى أي مدى، أو إلى متى يستطيعون الاحتفاظ بثقافتهم وتراثهم الهندي، وهم في «إسرائيل»؟ لا أحد يعرف ذلك، ولكن من المهم الاشارة إلى أن هؤلاء اليهود الهنود قد تأثروا بالغرب والحياة الغربية خاصة بعد هجرتهم (Benjamin, 1984: 6). وهم ليسوا الجماعة اليهودية الوحيدة التي تأثرت بالغرب، لكن ما هي طبيعة هذا التأثر؟ وهذه في حقيقتها ليست مشكلة نستطيع المراهنة عليها أو نستنتج منها تفكك المجتمع الصهيوني، إذ ربما كان ذلك التأثر ايجابيا بانعكاساته على خطط اليهود أو الحركة الصهيونية. وتشترك الجماعة اليهودية الثالثة مع هذه الجماعة في هذه المسألة.

الجماعة اليهودية الثالثة:

أما المجموعة الثالثة التي تكون يهود الهند فأصلها من غرب آسيا خاصة من بغداد، والذين كانوا يترددون على شبه القارة الهندية في القرن التاسع عشر كتجار، أو الباحثين عن فرص للعمل. لقد نشط هؤلاء تجاريا وأقاموا مؤسسات تجارية في الهند، وتعرف هذه الجماعة باسم البغداديين أو البغدادية على الرغم من أن عددا منهم لم يأت من بغداد بل من البصرة وسوريا وعدن وايران وأفغانستان. ولقد استقروا في بومبي وكلكتا، وقليل منهم سكن بونى Pune المكان الذي يقيم فيه الساسانيون احتفالا موسميا كل عام.

وقد حلت أفواج هذه الجماعة ـ بعد وصولها إلى الهند ـ في سرات Surat قبل القرن التاسع عشر، عندما كانت سرات وليست بومبي أكبر ميناء تجاري على الشاطىء الغربي للهند.

أما لماذا هاجرت هذه المجموعة الى الهند في القرن التاسع عشر، وما علاقة ذلك بالمد الاستعماري الغربي في ذلك القرن فمن الصعب تحليل الأسباب بعيدا عن العلاقة بين

الاستعمار الغربي وهجرة هؤلاء اليهود من بغداد والمناطق الأخرى التي تقع تحت سيطرة الاستعمار الغربي إلى شبه القارة الهندية التي كانت هي أيضا محتلة من قبل الاستعمار نفسه.

هؤلاء اليهود التجار البغداديون الذين جاءوا مبكراً ـ وهم أقدم اليهود التجار من العراق وشبه الجزيرة ومصر، لم يجعلوا من سرات مقرهم الدائم بل كانوا يمكثون لمدة قصيرة أو طويلة في المدن البحرية قرب بومبي ويعودون الى بلدانهم في النهاية. كانوا يتكلمون العربية والفارسية والانجليزية في الغالب، ولكن ما كان أحد منهم يتكلم الهندية كلغة وطنية كما فعلت الجماعات اليهودية الأولى مثل يهود بني اسرائيل والكوشين.

وقد قدر عدد اليهود التجار البغداديين في عام ١٩٥١ بحوالي خمسة آلاف لكن عددهم الآن لا يتجاوز مائتين وخمسين شخصا يسكنون أساسا في بومباي وكلكتا[٣] ويختلف هؤلاء عن بني اسرائيل والكوشين في مسألة الهجرة الى فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ فمعظم المهاجرين من هذه الجماعة قد هاجروا الى بريطانيا والولايات المتحدة وكندا (Benjamin, 1984:6-8).

إن هجرة اليهود البغداديين الى شبه القارة الهندية حديثة، ولكن ألا يتبادر الى الذهن احتمال أن لتلك الهجرة جذورا تاريخية تذهب بعيدا في التاريخ الوسيط والقديم؟ إن الاجابة عن هذا السؤال تقتضي سؤالا آخر مؤداه: هل لهذه الهجرة علاقة بخروج اليهود من بلاد الرافدين بعد السبي البابلي في العصر القديم، أو خلال العصر العباسي ابان ازدهار الدولة الاسلامية ونمو نشاطها الاقتصادي حيث كانوا يخرجون للتجارة مع المسلمين الى الهند؟ ذلك احتمال لا نستطيع القطع به، ولكن المؤكد أن اليهود قد شاركوا المسلمين النشاط التجاري في البحار الشرقية، غير أن الفترة الزمنية بين هذه العصور شاسعة، وأن هجرة الجماعة اليهودية البغدادية حديثة وليس هناك ما يشير الى ارتباطها بيهود هاجروا من بغداد الى الهند ومكثوا فيها سواء بعد السبي البابلي، أو في العصر العباسي وتعددت أسماؤهم إلى أن استقروا على التسمية «البغدادية» عندما وفد أقرانهم في القرن التاسع عشر.

وبالرجوع الى تاريخ يهود البلاد العربية عبر العصور، والذي أرخ له الدكتور أحمد سوسه في كتابه «العرب واليهود في التاريخ» يقول «وقد ساعد موقع مناطق الآراميين على توسيع نطاق تجارتهم فاحتكروا التجارة، كما احتكروا طرق المواصلات المؤدية الى أشور شرقا والى المدن الفنيقية غربا والى آسيا الصغرى شمالا» (سوسة، ١٩٧٢: ٥٦).

وقد تدلنا عبارة «احتكروا طرق المواصلات المؤدية الى أشور شرقا» على انتشار اليهود ومعرفتهم بالهند، ومن ثم هجرة بعضهم إليها بعد السبي البابلي أو في عصور لاحقة لأسباب اقتصادية أو سياسية. ولكن حتى إن اتفقنا على تسمية هذه الجماعة اليهودية بالبغداديين فإن ذلك لا ينفي أن تكون قد حملت إسما آخر في عصور سابقة أو أنها كانت جزءا من الجماعات اليهودية الأخرى التي هاجرت واستوطنت شبه القارة الهندية في العصور القديمة أو الوسطى، ولكن الأرجح أن هذه الجماعة قد هاجرت إلى الهند حديثا لأسباب اقتصادية.

الأوضاع الاجتماعية ليهود الهند وعلاقتهم بالاستعمار الغربي

بالقاء نظرة على الوجود اليهودي في الهند في وقتنا الحاضر نجد أن الجماعة اليهودية الأساسية في الهند هي (بني اسرائيل) وبالأصح ما تبقى منهم بعد هجرة أغلبهم الى فلسطين المحتلة. إن كل جماعة من هذه الجماعات الثلاث (بني اسرائيل، الكوشين، والبغداديين) لها شخصيتها الخاصة المميزة رغم امتزاجها بغيرها، وهناك تباين طبقي واجتماعي بين هذه الجماعات خاصة البغداديين واليهود البيض من الكوشين. ان هذه الجماعات اليهودية في الهند قد أصبحت هندية بدرجة متفاوتة، فيهود بني اسرائيل هنود أكثر من غيرهم، فهم يتحدثون اللغة الهندية ويعيشون حياة الهنود، أما الكوشين فأقل منهم درجة في هذا السلوك، بينما البغداديون أقل الجميع اندماجا في المجتمع الهندي (Benjamin, 1984:8)

يوضح الجدول التالي عدد اليهود في الهند في الفترة ما بين ١٨٩١/١٩٦١

السنة	العدد في مدينة بومباي	العدد في المدن الأخرى
١٨٩١	٥,٠٢١	٣,٣٢٠
١٩٠١	٥٣٥٧	٣,٣١٣
١٩١١	٦,٥٩٧	٢,٩٣٢
١٩٥١	١٦,٠٨٥	١,٨٥٢
١٩٦١	١٢,٣٦٦	١,٨٥٢

. Source (Benjamin, 1984: 80-81.)

وباستعراض أصحاب الديانات المختلفة في الهند تتضح لنا نسبة اليهود في الجماعات الأخرى في منطقة واحدة في عقد من الزمان.

الجماعات الدينية	١٩٦٠	١٩٧١
الهندوس	٨٨,٩٦	٨٨,٢٥
المسلمون	٥,٩٦	٦,٥٣
البوذيون	٤,٣٦	٤,٤١
المسيحيون	٠,١٤	٠,١٩
اليهود	٠,٢١	٠,٠٧

Source: (Benjamin, 1984: 101)

وقد شهدت الفترة الاستعمارية لشبه القارة الهندية مشاركة اليهود في القوات المسلحة فبعض اليهود الهنود من بني اسرائيل كانوا في الجيش الهندي تحت القيادة البريطانية، واشتركوا في الحرب العالمية الأولى. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بدأ بنو إسرائيل في الهند تجديد اتصالهم بالقوات المسلحة الهندية البريطانية، وحصل بعضهم على رتب عالية، فقد اشتركوا في الجيش لمدة قرن من الزمان تحت قيادات دول أخرى قبل إقامة دولة «إسرائيل» وكانوا مميزين بين يهود العالم (Benjamin, 1984: 18-19).

وبتحليل الجدولين السابقين تتضح الأمور التالية:

أولا: أن الاحصائيات عن عدد اليهود في الهند ونسبتهم الى أصحاب الديانات الأخرى تغطي فترة هامة من تاريخ اليهود الحديث، فهذه الفترة قد شهدت أحداثا أهمها نشأة وتطور الحركة الصهيونية، والهجرة اليهودية الى فلسطين ثم إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ودعمه عسكريا وسياسيا.

ثانيا: يتضح من الجدول الأول تركز اليهود في مدينة بومباي، ربما لأنها مدينة ساحلية تجارية هامة.

ثالثا: ان نسبة اليهود إلى أصحاب الديانات الأخرى هي للفترة التي حددت في الجدول رقم ٢ وأن تفوق عدد المسيحين في منطقة دون غيرها قد لا تعطي مؤشرا على أن هذه النسبة يمكن تعميمها على المناطق الأخرى.

الهجرة اليهودية الى فلسطين ـ نظرة عامة:

لقد حدد إعلان قيام دولة «اسرائيل» الصادر في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ المفهوم

الصهيوني للهجرة اليهودية الى فلسطين وهو «عودة مشروعة للشعب اليهودي إلى أرض إسرائيل لاستعادة حقوقه السياسية . . ولما له فيها من حقوق طبيعية وتاريخية وتقليدية (فهمي وليم، ١٩٧٤ : ٩).

إن التجمع السكاني الاستيطاني اليهودي في فلسطين المحتلة، هو في الأساس تجمع مهاجرين. لقد ظلت الهجرة اليهودية أهم ركائز المشروع الصهيوني، ففي مرحلة ما قبل إقامة الكيان الصهيوني كانت مهمة الهجرة الصهيونية تأمين الأساس البشري لمشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وأصبحت بعد إقامة هذا الكيان تجديداً للطاقة البشرية اللازمة لهذا الكيان وزيادتها ليظل قادرا على إداء دوره في خدمة مصالح الامبريالية العالمية ومخططاتها وقد دأبت المصادر الصهيونية على تسمية موجات الهجرة «عالياه» أي الصعود إلى جبل صهيون لذلك تحتل مسألة الهجرة مكانا مركزيا في تفكير الهيئات الصهيونية ونشاطها. (الموسوعة الفلسطينية، جـ ٤، ١٩٨٤ : ٥١٦).

وقبل استعراض مراحل الهجرة اليهودية الى فلسطين لابد من بحث أسباب ودوافع هذه الهجرة باختصار. ونجملها فيما يلي :

١ ـ **العامل الديني** : تذكر المادة الثانية من (قانون العودة)[٤] الاسرائيلي لفظ «عليا» بمعنى حج وصعود الى (أرض الميعاد)، وبهذا يكون القانون قد جعل العامل الديني هو الأساس الأول في الهجرة الى «إسرائيل». وفكرة العودة الدينية الى أرض الميعاد تستمد جذورها من الأفكار الدينية التي سيطرت على اليهود طوال فترة الشتات، وارتبطت بفكرة (الشعب المختار) وبموجبها يدعي اليهود أن الله قد وعد الشعب اليهودي بأن تكون فلسطين ملكا له، والعودة الى «صهيون» هي الرجوع إلى المكان المقدس لليهود.

لقد ارتبطت فكرة العودة الدينية كذلك بمجيء المسيح المنتظر الذي يجمع الأسباط الاثنى عشر، ويعيد هيكل اليهود وبناءه، ويرد الى إسرائيل مجدها القديم (فهمي وليم ١٩٧٤ : ٦٩ـ٧٠) ولابد أن تتضافر كل العوامل لاقامة الدولة إذ ليس بالامكان تحقيق ذلك الهدف بعامل واحد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العامل الروحي أساسي في جذب اليهود الى فلسطين على وجه التحديد.

٢ ـ **العامل السياسي** (الاستعمار الغربي والحركة الصهيونية) : هناك حدثان لهما أهميتهما شكّلا العامل السياسي للهجرة اليهودية الى فلسطين، الأول قيام الحركة الصهيونية على

أساس سياسي وتحديد هدفها بإقامة وطن قومي لليهود، والثاني دور الاستعمار الغربي في دعم الحركة الصهيونية وبخاصة بريطانيا التي حددت موقفها العملي الذي حققته خلال انتدابها لفلسطين، ويظهر ذلك من قرار لجنة الاستعمار التي زارت منطقة الشرق الأوسط في عام ١٩٠٥ حيث قررت ضرورة إقامة حاجز بشري غريب يفصل الجزء الآسيوي عن الأفريقي للبلاد العربية، ويكون عونا للاستعمار والمصالح الغربية في هذه المنطقة. (الخليلي، ١٩٧٩: ١١٠) وقد تولت الولايات المتحدة الأمريكية مهمة دعم الكيان الصهيوني بعد إقامته منذ عام ١٩٤٨ الى الآن.

٣ ـ **الاضطهاد والعزلة التي عاشها يهود العالم**: لقد تعرض اليهود للاضطهاد في بعض الدول الأوروبية بسبب الدور الذي كانوا يلعبونه اقتصاديا وسياسيا، ففي روسيا تعرضوا للاضطهاد بعد اغتيال القيصر عام ١٨٨١م، واشتراك بعضهم في ذلك (أبو عرفة ١٩٨١: ٤٤ـ٤٥). وفي ألمانيا تعرضوا للاضطهاد بسبب سياسة الحزب النازي.، وتعارضهم معها قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية. لقد استخدمت الحركة الصهيونية ذلك الاضطهاد لصالحها بأن نشطت في تهجير اليهود إلى فلسطين تخلصا من اضطهاد الدول الأخرى كما تدعي، ولكنها عندما أقامت دولة اسرائيل مارست الاضطهاد ضد الشعب الفلسطيني، وليس صحيحا أن اليهود كانوا يعاملون معاملة من الدرجة الثانية في الدول الأخرى فقد كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية والسياسية..

٤ ـ **تخلف وتجزئة الوطن العربي**: من الأسباب الأساسية التي مكنت الاستعمار الغربي، والحركة الصهيونية من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين تخلف وتجزئة الوطن العربي التي تمت على يد الاستعمار التقليدي بعد أن نخر في جسد هذه الأمة وعقلها زمنا طويلا. لقد جاءت تجزئة الوطن العربي جغرافيا أثناء الحرب العالمية الأولى، ولقد كانت التجزئة الجغرافية ولا تزال أساس ضعف وتخلف الامة العربية، وهي الثغرة الأساسية التي دخلت عن طريقها الحركة الصهيونية لاقامة دولة في فلسطين العربية بمساعدة الاستعمار الغربي.

مرّت الهجرة اليهودية الى فلسطين بعدة مراحل، فالمرحلة الأولى قبل عام ١٨٨٢، حيث كان عدد اليهود في فلسطين في أوائل القرن السادس عشر أي في بداية العصر الحديث حسب التقديرات الصهيونية خمسة آلاف، جاءوا إلى فلسطين بدوافع دينية، معظمهم قدموا من أسبانيا بعد طرد اليهود والعرب منها في أواخر القرن الخامس عشر. وكانت القوى

الاستعمارية وبخاصة بريطانيا تخطط منذ وقت مبكر لاقامة كيان بشري غريب في قلب المنطقة العربية، وقد كشفت نشاطاتها الرامية الى تهجير اليهود الى فلسطين في المرحلة التي اعقبت إخراج جيش محمد علي من سوريا وفلسطين عام ١٨٤٠ إلا أن هذه المحاولات لم تنجح بسبب معارضة يهود أوروبا لهذه الفكرة آنذاك.

وبدأت المرحلة الثانية بعد عام ١٨٨٢، وكان طابعها يختلف عن طابع المراحل السابقة فقد قامت الهجرة على أساس سياسي عندما ظهرت فكرة إقامة الوطن القومي لليهود التي تبنتها الحركة الصهيونية بعد قيامها ومنذ مؤتمرها الأول في نهاية القرن التاسع عشر. وتعتبر هذه الفترة قمة الاستعمار الغربي التقليدي في العالم مع مواكبة منجزات الثورة الصناعية وتطورها، وما كانت الحركة الصهيونية تتبنى فكرة الوطن القومي لولا دعم وتشجيع الاستعمار الغربي لها لتحقيق أحلامها وأفكارها (الموسوعة الفلسطينية جـ٤، ١٩٨٤ : ٥١٦). ولابد عند تحديد دور الاستعمار في خلق الوطن القومي لليهود في الأرض العربية من أن نحمل بريطانيا المسؤولية الأولى في هذه المسألة.

أما موضوع المستوطنات الصهيونية الزراعية في فلسطين فقد أسهم أثرياء اليهود في انشاء هذه المستوطنات في بدايتها في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر بمساعدة الجمعية اليهودية للاستيطان التي أسسها في لندن اليهودي البارون موريس دي هرشى، حيث وصل الى فلسطين في تلك الفترة أكثر من ٤٥٠ يهودياً، من اليمن، نظمت السلطات البريطانية عملية تهجيرهم عن طريق عدن ـ البحر الاحمر واستقروا في يافا، وفي نهاية هذه الفترة كان قد جرى شراء نحو ٣٥٠ الف دونم من الأرض الزراعية ثم جرى توطين عشرة آلاف يهودي في عدد من المستعمرات الزراعية في فلسطين.

وبعد قيام الحركة الصهيونية اتخذت الهجرة طابعا جديدا حيث دخل العامل السياسي في أهداف الهجرة وتولت الوكالة اليهودية التمويل والاشراف على الهجرة وبلغ عدد المهجرين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ٤٠ ألف مهاجر، كما وصل ١٥٠٠ يهودي من اليمن (الموسوعة الفلسطينية جـ ٤، ١٩٨٤ : ٥١٧).

والمرحلة الهامة في تاريخ الهجرة اليهودية الى فلسطين كانت في فترة الانتداب البريطاني لفلسطين، وقد بلغ عدد اليهود فيها مع بداية الحرب العالمية الأولى حوالي ٨٥ الفا، ووصلت

مساحة الأراضي التي يملكونها الى ٤١٨ ألف دونم، وأصبح لديهم أربع وأربعون مستعمرة زراعية، أما في فترة الانتداب فقد اتفق وعد بلفور مع صك الانتداب البريطاني على فلسطين في المادة السادسة منه على أن الادارة البريطانية سوف تلتزم بتسهيل الهجرة اليهودية بشروط مناسبة، وسوف تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية استيطان اليهود في الأرض بما في ذلك الأراضي الحكومية والأراضي الخالية، غير اللازمة للاستعمال العام، ويتبع ذلك تقنين الهجرة اليهودية بالنظام الذي أصدرته عام ١٩٢٠ لتسهيل هجرة اليهود، خاصة عودة أولئك الذين خرجوا منها أثناء الحرب. والدليل على دور بريطانيا في خدمة الحركة الصهيونية هو حجم الهجرة في فترة الانتداب البريطاني لفلسطين فقد هاجر في هذه الفترة ٤٦٠ ألف يهودي من دول أوروبية غربية وشرقية وأقطار عربية (الموسوعة الفلسطينية جـ٤، ١٩٨٤: ٥١٨-٥٢٠).

إن هذه المعلومات تدل على أن مسألة الهجرة كانت قضية مركزية بالنسبة للحركة الصهيونية كما تدل على الدور الذي لعبته بريطانيا في مساعدة الصهيونية في مسألة الهجرة، وكأن الانتداب البريطاني على فلسطين لم يخلق إلا لتحقيق هذه المهمة، لأن الشغل الشاغل للسلطة البريطانية في فلسطين طوال انتدابها هو دعم وتسهيل هجرة اليهود من جهة، وقمع الانتفاضات الفلسطينية الرافضة للتهويد والهجرة[٤] من جهة أخرى.

ويوضح الجدولان التاليان حجم الهجرة في مرحلتين هامتين الأولى خلال فترة الانتداب البريطاني لفلسطين، والثانية بعد إقامة الكيان الصهيوني حتى عام ١٩٧٧.

هجرة يهود الهند الى فلسطين

بعد صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠، واطمئنان الحركة الصهيونية الى تعاون بريطانيا معها في مسألة تهجير اليهود الى فلسطين من مختلف مناطق العالم وخاصة من المناطق التي تقع تحت السيطرة البريطانية بدأت الهجرة اليهودية تدخل مرحلة هامة من تاريخها، وكان أن فتحت بريطانيا المجال لهجرة يهود الهند الى فلسطين، أو هجرة يهود المناطق الأخرى مرورا بالهند.[٦]

ولنتأمل رسالة وكيل الخارجية البريطانية في حكومة الهند ووزير الخارجية، المؤرخة ٩ فبراير ١٩٢١، حول هجرة اليهود من بومبي الى فلسطين، حيث تقول الرسالة: «تعقيبا على رسالة وزارة البحرية (البريطانية) المؤرخة ٣ فبراير ١٩٢١ حول مرور اليهود المهاجرين من

جدول رقم (١)

الهجرة الصهيونية خلال فترة الانتداب البريطاني

السنة	مهاجرون	مهاجرون غير شرعيين	المجموع
١٩١٩	١,٨٠٦	—	١,٨٠٦
١٩٢٠	٨,٢٢٣	—	٨,٢٢٣
١٩٢١	٨,٢٩٤	—	٨,٢٩٤
١٩٢٢	٨,٦٨٥	—	٨,٦٨٥
١٩٢٣	٨,٠٩٣	—	٨,٠٩٣
١٩٢٤	١٢,٨٥٦	—	١٢,٨٥٦
١٩٢٥	٣٣,٨٠١	—	٣٣,٨٠١
١٩٢٦	١٣,٠٨١	—	١٣,٠٨١
١٩٢٧	٢,٧١٣	—	٢,٧١٣
١٩٢٨	٢,١٧٨	—	٢,١٧٨
١٩٢٩	٥,٢٤٩	—	٥,٢٤٩
١٩٣٠	٤٠٩٤٤	—	٤٠,٩٤٤
١٩٣١	٤,٠٧٥	—	٤,٠٧٥
١٩٣٢	٩,٥٥٣	—	٩,٥٥٣
١٩٣٣	٢٧,٦٨٢	٢,٤٦٥	٣٠,١٤٤٧
١٩٣٤	٣٨,٢٤٤	٤,١١٥	٤٢,٣٥٩
١٩٣٥	٥٨,٠٥٠	٣,٨٠٤	٦١,٨٥٤
١٩٣٦	٢٧,٩١٠	١,٨٠٧	٢٩,٧١٧
١٩٣٧	٩,٨٨٥	٦٨١	١٠,٥٣٦
١٩٣٨	١١,٤٤١	١,٤٢٧	١٢,٨٦٨
١٩٣٩	١٦,٤٠٥	١١,١٥٦	٢٧,٥٦١
١٩٤٠	٤,٥٤٧	٣,٨٥١	٨,٣٩٨
١٩٤١	٣,٦٤٧	٢,٢٣٩	٥,٨٨٦
١٩٤٢	٢,١٩٤	١,٥٣٩	٣,٧٣٣
١٩٤٣	٨,٥٠٧	—	٨,٥٠٧
١٩٤٤	١٤٤٦٤	—	١٤,٤٦٤
١٩٤٥	١٢,٧٥١	٣٧٠	١٣,١٢١
١٩٤٦	٧,٨٥٠	٩,٩١٠	١٧,٧٦٠
١٩٤٧	٧,٢٩٠	١٤,٢٥٢	٢١,٥٤٢
حتى آيار ١٩٤٨	٢,١٠٩	١٥,٠٦٥	١٧,١٧٤

المصدر: (الموسوعة الفلسطينية، جـ٤، ١٩٨٤: ص٥٢٢)

جدول رقم (٢)

الهجرة الصهيونية

بعد فترة الانتداب البريطاني

السنة	عدد المهاجرين
١٩٤٨	١٠١,٨١٩
١٩٤٩	٢٣٩,٥٧٦
١٩٥٠	١٧٠,٢١٥
١٩٥١	١٧٥,١٢٩
١٩٥٢	٢٤,٣٦٩
١٩٥٣	١١,٣٢٦
١٩٥٤	١٨,٧٣٠
١٩٥٥	٣٧,٤٧٨
١٩٥٦	٥٦,٢٣٤
١٩٥٧	٧١,٢٢٤
١٩٥٨	٢٧,٠٨٢
١٩٥٩	٢٣,٨٩٥
١٩٦٠	٢٤,٥١٠
١٩٦١	٤٧,٦٣٨
١٩٦٢	٦١,٣٢٨
١٩٦٣	٦٤,٣٦٤
١٩٦٤	٥٤,٧١٦
١٩٦٥	٣٠,٧٣٦
١٩٦٦	١٥,٧٣٠
١٩٦٧	١٤,٣٢٧
١٩٦٨	٢٠٥٤٤
١٩٦٩	٢٤,٦١٨
١٩٧٠	٢١,٢٤٠
١٩٧١	٢٦,١٣٨
١٩٧٢	٤٣,٣٧٢
١٩٧٣	٤٤,٩٥٤
١٩٧٤	٢٤,٢٢٣
١٩٧٥	١٣,٣٤٤
١٩٧٦	١٢,٠١٦
١٩٧٧	١٢,٥٠٣

المصدر: (الموسوعة الفلسطينية، جـ٤، ١٩٨٤: ص٥٢٢)

بومبي في طريقهم الى فلسطين، يرجى تسهيل عبورهم من قنال السويس، وعددهم ١٢٧ مهاجرا يهوديا، وقد اختير هؤلاء بمعرفة السيد شيليم Shelleim رئيس الجماعة الصهيونية في بومبي» وفي رسالة أخرى مؤرخة ٢٨ ديسمبر ١٩٢٠ وموقعة من A.Alcorn أرسلت الى وكيل وزارة الخارجية البريطانية قبل تلك الرسالة بشهر ونصف تقريبا تقول: «ان هؤلاء اليهود المهاجرين (الى فلسطين) يمكن السماح لهم بالهجرة دون أجر، ونطلب الاذن بمرورهم، كما أن اللورد كيرزون يرغب في تهيئة الجو الملائم لهم عند وصولهم مصر، ولا اعتراضهم عند نزولهم السويس لترتيب الأوضاع لهم حتى لا يمكثوا طويلا في مصر ويواصلوا رحلتهم الى فلسطين. (IOR Secret Annual Files (L/P+S/11/205,1919-1930)

ويتضح من هذه الرسالة أن السلطات البريطانية كانت تساعد على هجرة اليهود الى فلسطين، وأكثر من ذلك كانت هي صاحبة الشأن في هذه المسألة، كما يتضح مدى التعاون بين المنظمة الصهيونية في الهند والسلطات البريطانية ليس فقط أثناء انتقالهم من الهند، ولكن متابعة رحلتهم عبر المناطق التي تسيطر عليها بريطانيا لتأمين سلامة وصولهم الى فلسطين.

وحول تسهيل هجرة يهود المناطق الأخرى، عن طريق الهند يوضح التقرير التالي مدى اهتمام السلطات البريطانية بهذه المسألة، والدور الذي لعبته في المساعدة المباشرة للهجرة اليهودية الى فلسطين. هذا التقرير صادر عن وكيل الحكومة البريطانية في بلوشتان بتاريخ ١٨/٣/١٩٢٢ حيث يقول:

«وصل الى هنا ميخائيل كالاندروف من يهود بخارى مع ابنه بتاريخ ١٧ مارس ١٩٢٢ في طريقهما الى فلسطين مرورا بكراتش وبومبي والاسكندرية في مصر، وهما يرغبان في البقاء بالاسكندرية لبعض الوقت لوجود أخ لميخائيل يعمل في تجارة السجاد والملابس. لقد تركا عائلتهما في بخارى، وهو تاجر يملك الكثير لكن سلب البلاشفة أمواله وبضائعه كما يدعي، ولديه تصريح من القنصلية في القدس مؤرخ ١٩ سبتمبر ١٩٢١، أرسل له بواسطة أخيه في الاسكندرية ويدعى جبرائيل، والتصريح موقع من قبل القنصل البريطاني في برجاند، ولميكائيل هذا خمسة مرافقين بقوافي دوزداب للعمل، وسيهاجرون الى فلسطين ولكنه لا يعرف متى سيكون ذلك، ولا يرغب في انتظارهم، أما وضع هذا المهاجر اليهودي المالي فهو يعتبر من الأثرياء حيث يملك بالعملة الهندية والقطع الذهبية التركية:

عملة بخارية	١٠٠٠ روبية
لؤلؤ	٣٠٠٠ روبية
ساعتين ذهب	٢٠٠٠ روبية
حاجات أخرى	١٥٠٠ روبية
المجموع	٧,٦٥٠ روبية

وربما يقوم ببيع هذه المقتنيات هنا أو في كراتش، أو في بومبي، وهو يطلب الاتصال مع أخيه بالاسكندرية ليرسل إليه الأموال، وإذا حصل على رد من الاسكندرية قد لا يبيع حاجياتـه. (IOR L/P+S/11/214,1922) ويضيف التقـرير أن مرور يهود بخـارى خلال بلوشتان إلى فلسطين يعتبر مغامرة جديدة، إذ لم يأت أحد منهم بهذه الطريقة من قبل، وإذا سمح لهم بالمرور من خلال هذا الطريق فإن أعدادا كبيرة منهم ستأتي في المستقبل ـ إنه من الصعب تصديق أقوال هذا اليهودي، أو يهود بخارى الآخرين، فبخارى في يد البلاشفة، ومن الصعب على اليهود سلوك هذا الطريق الخطر لوجود المخابرات الروسية هناك.

والأغرب من ذلك هو استطاعة هذا اليهودي الارتحال ومعه هذه الحاجيات الثمينة، وهو يحاول اقناعنا بأنه قد سلبت ممتلكاته، وأن زملاءه الذين سيلتحقون به معهم سجاد ثمـين، وبعض الجلود من كراتش، والسؤال الـذي يلح علينـا هو كيف ولمـاذا سمح له السوفييت بهذه الأموال للتجارة؟ أضف الى ذلك أن له أصدقاء من اليهود في بومبي، يرغبون بزيارتهم يجب أن نضـع في الحسبـان أنـه احتـمال أن يكون بعض هؤلاء أو أحدهم من المخابرات الروسية الذين أرسلوا الى مصر أو فلسطين وعلينا أن نحذر من ذلك (IOR L/P+S/11/214,1922)

وفي رسـالـة أخرى مؤرخة ٢٥ مارس ١٩٢٢، من رئيس شرطة كويتا الى الوكيل الـبريطاني لدى حكـومة بلوشستان، يوضح فيها أن اليهود الذين كانوا سيرافقون المهاجر اليهودي ميخائيل قد حصلوا على تصريح بالسفر بنفس الأسلوب وسيسلكون نفس الطريق الى فلسطين مرورا بروزداب وبومبي ولقد وصلوا الى ميشد في اكتوبر ١٩٢١. ومنذ وصولهم الى هناك وهم يشترون السجاد والجلود الفاخرة وتبلغ قيمة مشترواتهم ١٢٩,٣٥٨ روبية هنـدية ويعتـزمون نقل مشترياتهم عن طريق القطار الى كراتشي، وهذه الأموال قد قاموا بجمعهـا قبل الثورة الروسية وسيطرة البلاشفة على السلطة، ولكن من الصعب تصديق

إمكان أن يملك هؤلاء هذه الثروة وينتقلون بها في ظل حكم البلاشفة (IOR L/P+S/11/214,1922) . وتستمر عملية فكرة متابعة اليهود والاهتمام بهم من قبل السلطات البريطانية في شبه القارة الهندية كما ورد في رسالة القائم بأعمال مدير المخابرات في بريطانيا الى القنصلية البريطانية في كراتشي بتاريخ ٤ مايو ١٩٢٢ وقد جاء فيها:

«نرجو السماح لليهود الروس الذين غادروا الى بومبي بالهجرة الى فلسطين، لكن يجب ابقاءهم تحت المراقبة الى أن يغادروا الأراضي الهندية، كما يجب ارسال تاريخ مغادرتهم واسم الباخرة التي تقلهم الى هذا المكتب» (IOR L/P+S/11/214,1922)

يستخلص من المتابعة البريطانية لهذه الهجرة اليهودية ما يلي:
أولا: التعاون البريطاني الصهيوني في الهجرة اليهودية الى فلسطين، وثانياً: أن هذه الهجرة اليهودية، وغيرها قد حدثت بعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، وثالثهما أن قلق بريطانيا من أن صفوف هؤلاء المهاجرين اليهود قد تضم بعض عناصر المخابرات السوفيتية لم يمنع أو يعرقل مساعدة السلطات البريطانية والحركة الصهيونية، والى اطمئنانها إليهم رغم شكوك بعض المسئولين البريطانيين في ميدان الاستعمار سواء أكانوا في شبه القارة الهندية أم غيرها.

إن تلك الوثائق مجرد أمثلة على الهجرة اليهودية من شبه القارة الهندية منذ وقت مبكر ومن منطقة لم تكن متوقعة مصدرا لهؤلاء المهاجرين أو طريقا لمرورهم وإذا كانت هذه صورة الهجرة اليهودية في فترة الانتداب البريطاني فماذا عن هجرة يهود الهند بعد انتهاء فترة الانتداب البريطاني على فلسطين واقامة دولة اسرائيل؟

الهجرة اليهودية بعد عام ١٩٤٨

إذا كان الاستعمار البريطاني قد انتهى من الهند عام ١٩٤٧ بتقسيم شبه القارة الهندية، وحصول الهند وباكستان على الاستقلال، فإن الانتداب البريطاني على فلسطين قد انتهى كذلك بإقامة «دولة إسرائيل» ولكن التعاون بين بريطانيا والحركة الصهيونية لم يتوقف رغم التحول الهام للحركة الصهيونية من الاعتماد على بريطانيا قبل إقامة الكيان الصهيوني الاستيطاني في فلسطين الى الاعتماد الأساسي على الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية. إن هجرة يهود الهند الى فلسطين استمرت وبكثافة عالية منذ إقامة دولة

اسرائيل فوصلت إلى ثمانية آلاف هندي من جماعة بني اسرائيل التي سبق ذكرها. أما العدد الكلي ليهود الهند الذين هاجروا الى فلسطين منذ ذلك التاريخ فهو عشرون ألفا (Benjamin 1984:88)

والمعروف أن في الهند منظمة صهيونية كانت تشرف على عملية الهجرة كما كان هناك المجلس المركزي لليهود في بومبي The Central Jewish Board of Bombay (IOR, 1912–1918)
مما يدل على أن عملية الهجرة كانت منظمة ومخططاً لها سلفا من جهات تدعمها، وأنها لم تكن نتيجة وقد تمكنت الحركة الصهيونية بواسطة الدور الذي لعبته الوكالة اليهودية من تهجير اليهود الى فلسطين.

أما لماذا هاجر يهود الهند منها الى فلسطين عام ١٩٤٨، فيعتقد البغداديون من يهود الهند أنهم جاءوا حديثا الى الهند مع الاستعمار البريطاني، ولذلك لم تكن لديهم تجربة العيش تحت الحكم الهندي كغيرهم من أقرانهم اليهود وهم متأثرون كثيرا بالغرب ولهم علاقة تجارية قوية مع بريطانيا والشرق الاقصى، وأخيرا فقد أصبح لهم نشاط سياسي ملحوظ مع الحركة الصهيونية أكثر من بني اسرائيل والكوشين.

ولقد كان تأسيس دولة اسرائيل في فلسطين عامل جذب قوي لهجرة يهود الهند الذين لا يرغبون بالهجرة الى دول الكومنولث أو الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تأثر يهود الهند من الكوشين بالنشاط السياسي للحركة الصهيونية كذلك، وهاجروا بأعداد كبيرة الى اسرائيل، أما يهود الهند من بني اسرائيل فقد طرأ تحول على موقفهم بعد الحرب العالمية الثانية، وتمثل ذلك في تعاطفهم مع يهود أوروبا، خصوصا بعد موقف هتلر منهم، وكذلك اتخذوا موقفا مضادا لبريطانيا في فلسطين انسجاما مع الحركة الصهيونية وسعيها لاقامة الكيان الصهيوني، كما أن اقامة دولة اسرائيل بهذه الصورة الدرامية عام ١٩٤٨ بعد استقلال الهند أو (بعد تقسيم شبه القارة الهندية بسنة واحدة) خلق موجة من التعاطف اليهودي مع دولة اسرائيل الجديدة، مما أدى الى هجرة أعداد كبيرة من اليهود الى اسرائيل بمساعدة الوكالة اليهودية في الأغلب، لقد هاجر البعض على نفقته الخاصة. (Benjamin, 1984: 49-51)

الخلاصـــة

ما هي النتائج التي يمكن استخلاصها من دراستنا لموضوع «يهود الهند وهجرتهم الى فلسطين»؟

أولا: لم يتمكن اليهود من تحقيق أحلامهم في اقامة الوطن القومي والهجرة اليه الا بوجود تنظيم هو الحركة الصهيونية. هذا التنظيم كان يقوم على أسس متينة واستراتيجية واضحة كما اعتمد على التخطيط الدقيق الذي يستفيد الى اقصى درجة من الظروف المتاحة على جميع المستويات لتحقيق الأهداف التي وضعها التنظيم نفسه.

وليس هذا العامل هو العامل الوحيد الذي حقق لليهود حلمهم، ولكنه بدون شك كان عامـلا أساسيا ولذلك لا يمكن للعرب أن يحرروا فلسطين ويحققوا أهدافهم القومية بدون التنظيم والاستراتيجية الواضحة.

ثانيا: لقـد لعب الاستعمار الغربي وبخاصة بريطانيا دورا فعالاً في دعم وتشجيع الهجرة اليهودية ، ومساعدة الحركة الصهيونية على إقامة دولة اسرائيل وما كان يتحقق ذلك لولا سيطرة الغرب على الاقطار العربية وتخلفها من جهة، والتعاون الوثيق بين الحركة الصهيونية وبريطانيا من جهة أخرى. وذلك درس لابد من الاستفادة منه لندرك أن الخـطوات العملية والأسـاسية لابد أن ترتبط بتحرر أقطارنا العربية من الاستعمار الجديد، ومواجهة التخلف والتجزئة المفروضة على هذه الأمة.

ثالثا: يتضـح كذلـك من دراستنـا لهذا الموضوع أن دوافع هجرة يهود الهند الى فلسطين متنـوعة، فالبعض قد هاجر اليها بدافع ديني، والبعض بدافع سياسي، والبعض الآخر لدوافع اجتماعية اقتصادية، ولكن هذه الهجرة عموما ليست هجرة عفوية أو طبيعية بل هي هجرة مدفوعة يخرجها تخطيط عام.

رابعا: ان الجماعات اليهودية التي عاشت في الهند قرونا عديدة قد فككتها الحركة الصهيونية وذلك بتحريضها على الهجرة الى فلسطين اضافة الى العوامل الأخرى التي دفعتهم الى الهجرة الى خارج شبه القارة الهندية، كما أن نمط الحياة التي عاشها يهود الهند في اسرائيل قد تعرض لضغوط التميز العنصري والتفرقة الاجتماعية. ولا يجب المبالغة في تصور التناقض العنصري والاجتماعي داخل الكيان الاسرائيلي، أو المراهنة عليه في هدم هذا الكيان بعيدا عن النظر الى دور العوامل والظروف الأخرى التي من شأنها خلخلة هذا الكيان ومن ثم القضاء عليه واعادة الأرض الى أصحابها.

الهوامش

١) المعروف ان الامبراطورية الفارسية قد امتدت حتى بلوشستان التي كانت تعتبر جغرافيا جزءا من شبه القارة الهندية، والتي هي الآن ما بين باكستان وايران.

٢) يذكر كمال الصليبي، رأيا بشأن الكوشين، فيقول المعروف تاريخيا أنهم من الحبشة، وعرفوا بكونهم حبشيين لأن النصوص التوراتية كثيرا ما تربط بين كوش ومصريم، التي تؤخذ على أنها مصر، وأن الحبشة جارتنا الجنوبية، ولكنه لا يقر بذلك ويتساءل هل هم الحبشيون المصريون في عهد الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية ٧١٦-٦٥٦ قبل الميلاد؟ ويعتقد أن موقع كوش هو في الجزيرة العربية، ولكن ليس لدينا ما يثبت الرأي الذي طرحه كمال الصليبي.
انظر: كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، الطبعة الأولى، ١٩٨٥، بيروت، ص٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٧.

٣) يلاحظ أن الاحصائيات المذكورة لعدد اليهود في العالم في سنوات معينة خاصة سنة ١٩٥١ ويبدو أن لذلك علاقة باقامة دولة اسرائيل وسياستها في جلب المهاجرين من دول العالم المختلفة.

٤) صدر قانون العودة من قبل الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٥ يوليو عام ١٩٥٠.

٥) يعتقد بعض الصهيونيين بعد اقامة دولة اسرائيل أن اليهود بحاجة الى أرض أكبر من التي حصلوا عليها، وهي اسرائيل بحدودها ١٩٤٨ ذلك ليس لاستيعاب المهاجرين من يهود الهند، ولكن أيضا لجلب اليهود من مختلف بقاع العالم.

٦) أغلب المصادر العربية التي تبحث في موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تذكر وتحدد المهاجرين اليهود من شبه القارة الهندية، فهي تذكر عبارة «اليهود المهاجرون من آسيا» وهذا يعني أن هذه الهجرة تشمل هجرة اليهود العرب من أقطار المشرق العربي وغيرهم، انظر وليم فهمي، الهجرة اليهودية الى فلسطين، ١٩٧٤، ص١٠٦و١٦٨ وانظر أيضا: عبدالرحمن أبو عرفة ١٩٨١، ص٥٧ على سبيل المثال.

المصادر العربية:

أبو عرفة، ع.
١٩٨١ الاستيطان التطبيقي العملي للصهيونية. عمان، دار الجليل للنشر.
الخليلي، ح.
١٩٨١ الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ، العراق: وزارة الاعلام.

الصليبي، ك.
١٩٨٥ التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

الموسوعة الفلسطينية
١٩٨٤ الجزء الرابع، القسم العام. دمشق/بيروت: مؤسسة الموسوعة الفلسطينية.

سوسة، أ.
١٩٧٢ العرب واليهود في التاريخ. بغداد: وزارة الاعلام.

فهمي، و.
١٩٧٤ الهجرة اليهودية الى فلسطين. القاهرة. الهيئة العامة المصرية للكتاب.

المصادر الأجنبية

Ahmed, M.
1969 The Indu-Arab Relations. New Delhi: Indian Council for Cultural Relation.

Benjamin, J.
1984 The Bene Israel of India. Bombay: Orient Longman.

HUton, H. J.
1963 Caste in India. Bombay: Oxford University Press (Printed in India 4th ed.).

India Office Records (I.O.R.)
1919-1930[a] Political and Secret Annual Files. L/P+S/11/205, File (1919-1930). London (Unpublished Documents).
1919–1930[b] Political and Secret Annual Files. L/P+S/11/205, File (1919-1930). London (Unpublished Documents).

The Economist (Magazine)
1985 A Lost Tribe Too Many. U.K. (Sept. 28).

The Jews of India and their Emigration to Palestine

Abdul Malek Al-Tamemy

Little is know about the Jews of India and their emigration to Palestine. They form three groups: the Cochin, the Beni Israel, and the Baghdadies. The oldest of these groups is the Cochin, Which claims that it has been existing in India since the 10th century. They were driven out from China, and the Middle East countries. The motives of their emigration were religious, political and economic. The Indian Jews relation with the Zionist movement started during the British colonial period in India and Palestine, when the British authorities encouraged Jewish emigration to Palestine. The aim of this study is to draw attention to the Jews of India and their emigration to Palestine, with emphasis on the British role in helping and encouraging these Jews to emigrate especially during the British mandate to Palestine.